أ . د / عبد السلام صحراوي.

مقياس : مدخل إلى الأدب المقارن.

السنة الثانية ليسانس .

تخصص: دراسات أدبية ولغوية.

النوع: تطبيق.

الأفواج: 03 – 11 – 14.

نموذج من الأثر الإسلامي في الأدب الغربي.

أثر "حيْ بن يقظان" لابن طفيل في "روبنسون كروزو" لـ دانييل ديفو.

ازدهرت الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى ، في زمن كانت فيه أوروبا غارقةً في الظلام . وقد شكّلت إسبانيا التي دعاها المسلمون ب (الأندلس) مركز إشعاع حضاري في تلك الفترة ، و لجأ إليها العلماء وطلاب المعرفة من سائر بلدان أوروبا ... وبفضل العرب المسلمين ، بلغت شبه الجزيرة الأيبيرية تقدما في العلوم والفنون في تلك العصور ما لم تبلغه أيةُ أمةٍ أوروبية على الإطلاق .

ولقد كان أثر الحضارة العربية في إسبانيا كبيرا ، وشمل جميع المجالات الأدبية والعلمية ، وظلّتْ إسبانيا / الأندلس لقرون عديدة أحد أكبر مراكز الإشعاع في أوروبا في الأدب والفلسفة وسائر العلوم والفنون .. وكمثال على الأثر العربي في الأدب الغربي نتناول تأثير رواية " حي بن يقظان " لابن طفيل في رواية " روبنسون كروزو " لـ دانييل ديفو .

التعريف بالكاتب الإنجليزي " دانييل ديفو Daniel Defoe :

دانييل ديفو ، كاتب إنجليزي وُلد سنة 1661 م وتوفي سنة 1731 م .. وهو مؤلف قصة / رواية " روبسون كروزو " . وتذكر المراجع بأنّه عاش في إسبانيا مدة عامين ، فقد كان عصره عصر اضطرابات وثورات في انجلترا ، شارك في بعضها ، فتعرّض للمخاطر التي من بينها السجن ، وهو الأمر الذي اضطره إلى الهروب ، فكانت وجهته إسبانيا ..

نشأ دانييل ديفو نشأةً متواضعة ، فقد كان أبوه قصّابًا يعمل في لندن ، وهناك ، تعلّم دانييل علومًا متعدّدة شملت معارف عصره من الرياضيات والفلك والتاريخ ، وزاد عليها إتقانه خمس لغات . ولم تظهر موهبته الفكرية والأدبية إلّا بعد عودته من إسبانيا ، حيث أصدر صحيفة باسمه ، ضمّنها اقتراحاته الاقتصادية المثمرة ، التي أخذتْ بها حكومة بلاده.. وتعود شهرته الأدبية إلى قصيدة نظمها في الدفاع عن (وليم أورنج) ملك إنجلترا ردًّا على قصيدة نظمها أحد الشعراء في التهكّم عليه.. وهو الأمر الذي أكسبه عطف الملك وتقدير الحكومة والشعب..

ألَّف دانييلْ كثيرًا من الأبحاث والمقالات والرسائل في الدين والسياسة والوطن، وقد أدرك بفطرته تعلّق الجمهور بالقصص ، وشدّة تأثّره بها وتهافته عليها ، خاصةً إذا كانت صادقة الوصف والتحليل ، تهتمُّ بتصوير الحياة بدقة .. لذلك نالتْ قصصه نجاحًا كبيرًا .. وقد نشر القسم الأول من قصّته " روبنسون كروزو " عام 1719 م ، فلاقتْ شهرةً واسعة جدًّا ممّا شجّعه على إتمام القصة التي أكسبته كثيرًا من المال ما جعله يعيش بقية عمره مستريح البال ، إلى أنْ أنهكه مرض النقرس وعقوق ولده ، وهو ما عجّل بموته عام 1731م.

التعريف بابن طفيل :

هو أبو بكر بن عبد الملك بن طفيل، وُلد حوالي 500 للهجرة (1106 م) في غرناطة بالأندلس ..قرأ أقسام الحكمة على علماء غرناطة ،وكان واسع العلم في الفلك والرياضيات والطب والشعر. وقد عمل في مستهلّ حياته بالطب ثمّ تولى الوزارة في غرناطة.. وبعدها اتصل ببلاط الموحّدين في المغرب .. ولمْ يلبث ابن طفيل أنْ عيِّن عام 543هـ – 1154 كاتمًا لسرّ الأمير أبي سعيد بن عبد المؤمن حاكم سبتة وطنجة . ثم عاد إلى ممارسة الطب ، وأصبح الطبيب الخاص لأبي يعقوب يوسف سلطان الموحدين في عام 558هـ 1163م .. ويبدو أنّه ظلّ يحتفظ بمنصبه بالبلاط مدة عشرين عامًا قضاها في التأمّل والدراسة إلى جانب ممارسة الطب. وحين توفي أبو يعقوب ، بقيَ ابن طفيل في خدمة ابنه أبي يوسف يعقوب .. ثمّ اعتزل العمل في البلاط – ربّما لكبر سنّه – فخلفه تلميذه ابن رشد الفيلسوف.. توفي ابن طفيل عام 578هـ 1185م في مدينة مراكش ، ودُفنَ فيها .. وقد ترك عددا من المؤلفات التي ضاع معظمها ، ولمْ يبقَ منها سوى رواية " حيْ بن يقظان " وبعض الأشعار المتفرّقة ..

ملخص رواية " حيْ بن يقظان " لابن طفيل:

يقدّم لنا ابن طفيل روايتين لنشأة حيْ بن يقظان: الأولى : نشأة طبيعية ، فقد كان هناك ملكٌ عظيم منع أخته من الزواج ، بذريعة أنّه لم يجد من الرجال من هو كفؤٌ لها ، لذلك تزوّجتْ سرًّا من رجل يدعى" يقظان " و أنجبتْ طفلًا أسمته " حَيْ "، ووضعته في تابوتْ ، وقذفته في اليمّ قائلة : " اللّهم إنّك خلقت هذا الطفل ولمْ يكنْ شيئًا مذكورا ، ورزقته في ظلمات الأحشاء ، وتكفّلتَ به حتى تمَّ و استوى ، وأنا قد سلّمته إلى لطفكَ ، ورجوتُ له فضلك، خوفًا من هذا الملك الغشوم الجبار العنيد. فكنْ له يا أرحم الراحمين."

وأمّا الرواية الثانية التي يسوقها ابن طفيل لنشأة " حيْ" فتشير إلى نشأة غير طبيعية " إذْ إنَّ الذين زعموا أنّه تولَّد من الأرض فإنهم قالوا : إنَّ بطنًا من أرض تلك الجزيرة تخمَّرتْ فيه طينة على مرّ

السنين والأعوام ، حتى امتزج فيه الحار بالبارد ، والرطب باليابس ، امتزاج تكافؤ وتعادل في القوى ، وكانت هذه الطينة كبيرة جدّا ، وكان بعضها يَفْضُلُ بعضًا في اعتدال المزاج ، والتهيُّؤ لتكوّن الأمشاج ، وكان الوسط منها أعدل ما فيها وأتمّه مشابهة بمزاج الإنسان... وحدث في الوسط منها لزوجةٌ ونفخة صغيرة جدًّا منقسمة بقسمين، بينهما حجاب رقيق ، ممتلئة بجسم لطيف هوائي في غاية الاعتدال اللائق به، فتعلَّق به عند ذلك الروحُ الذي هو من أمرِ الله تعالى وتشبَّثَ به تشبُّثًا يعسُرُ انفصاله عنه عند الحسّ وعند العقل ، إذْ قد تبيَّنَ أنَّ هذا الروح دائم الفيضان من عند الله عزّ وجلّ ، وأنّه بمنزلة نور الشمس الذي هو دائم الفيضان على العالم..

ثمّةَ إذن قوى خارقة أدخلتْ الروح إلى ذلك الجسم الطيني .. والمهم أنّ " حيْ " في كلتا الروايتين نشأ في تلك الجزيرة البعيدة والمنعزلة ، وقد رعته ظبيةٌ فقدتْ ابنها ، أرضعتهُ من حليبها ، وحمته من الوحوش كما حمته من عوامل الطبيعة من بردٍ وحرٍّ ، فيكبر وهو لا يعرف أمًّا له سوى الظبية ، لكن الله منحه العقل الذي أتاح له التفكّر والمقارنة بين حاله وحال سائر الحيوان ، فقد نظر إليها فوجدها مكسوة الجلد بالصوف أو الريش ، فحاول أنْ يغطّي جسده بأوراق الشجر ، لكنّه سرعان ما جفّ وتساقط، فيلجأ إلى ريش نسر ميّت يستر به جسدَهُ ، ويعيش مثل الحيوانات في طعامه ولباسه..

يبدأُ النضج الفكري لدى (حيْ) عندما تموت أمُّهُ الظبية، حيث يصدُمُهُ هذا الحدث وتبدأ أسئلته حول الجسد والروح والحياة والموت، لذلك نجده يبحث عن سرّ الموت في جسد الظبية أولا ، فلم يجد شيئا، ولا عضوًا في جسدها قد نَقُصَ .ولكنّه لاحظ أنّ هذا الجسد الهامد ينقصه شيء مهم ليس ماديا ، وهذا الأمر هو الذي يحرّك الجسد ويملؤه بالحياة والمشاعر والعواطف .. غير أنّه مع ذلك لم يستطع الوصول إلى السر في ذلك.. بعد ذلك يقوم (حيْ) بدفن أمّه الظبية لأنّ رائحة نتنة بدأتْ تنبعثُ من جسدها وبعد أنْ " سنح لنظره غرابان يقتتلان حتى صرع أحدهما الآخر ميّتًا، ثمّ جعلَ الحيْ يبحثُ في الأرض حتى حفر حفرة فوارى فيها ذلك الميت بالتراب، فقال في نفسه: ما

أحسن ما صنع هذا الغراب في مواراة جيفة صاحبه ، وإن كان قد أساء في قتله إيّاه، وأنا كنتُ أحقُّ إلى هذا الفعل بأُمّي فحفر حفرةً وألقى فيها جسد أمّه وغطّاه بالتراب.." وبذلك ينتهي (حيْ) من مشكلة وسؤال الجسد ليصل إلى سؤال الروح..

إزاء سؤال المعرفة، بدا لنا (حيْ) إنسانا أشبه بالفيلسوف الذي يطرح الأسئلة التي لا تنتهي ويحاول الوصول إلى إجابات عنها.. وهنا يبدأ بالبحث عن سر الحياة ليس في جسد أمّه فحسب وإنّما في هذا الكون المتنوّع والشاسع؛ راح يلاحظ ويراقب الموجودات فوجد أنّ الأشياء والأجسام إمّا تعلو كالهواء والدخان ، وإمّا تهبط كالحجر ، وبذلك تعرّف شيئا فشيئا على بعض خصائص العالم المادي عن طريق الملاحظة والتجربة والتأمل..إلّا أنّ المعرفة المادية لا تحمل كلّ أسرار الكون وما وراء الكون .. لذلك، قرّر أنْ يبحث وأن يعرف أسرار ما وراء المادة و ما وراء الكون..

لاحظ (حيْ) أنّ الأشياء لا تتغيّر طبيعتها إلّا بفعل مسبّب، كتحوّل الماء إلى بخار لا يكون إلّا بالتسخين والحرارة وبالتالي أدرك بأنّ تحول الأشياء من حال إلى حال لابد لها من محوّل.. وبالتدريج في هذا السياق وبالتأمل في الكون والملاحظة والتجربة أدرك حيْ أنَّ حدوث العالم وخروجه من العدم لابد له من فاعل يخرجه إلى الوجود... ومن هنا راح ينظر إلى الكون وإلى نظامه الدقيق ، فأدهشه هذا النظام وأيقن أنّه لا بد أن يكون وراءه منظّم قادر ، تجتمع فيه صفات الكمال والقدرة وتنآى عنه النقائص .. ومن هنا قاده مبدأ السببية إلى إدراك وجود الله والإيمان به والتعمّق في العالم الروحي والحياة الروحية.

ولم يكتف (حيْ) بإدراك وجود الله ، بل أراد أن يقيم صلته به وهو القادر والمنظّم لكلّ شيء في الوجود.. واستمرّ حيْ في الملاحظة والتأمل في عالم الحيوان علّه يتعلّم منه ، فرأى أنه لا يهتم إلّا بالأكل والشرب وإشباع حاجات الجسد وملذّاته ..وعندئذ انطوى على ذاته وانقطع يبحث في أعماقها عن سبُل الاتصال بالله ، ولم يجد من سبيل إلى ذلك سوى الاتصال الروحي والاستغراق في التوحّد بالذات الإلهية ، ولذا سكن في كوخه الذي بناه وانقطع عن العالم الخارجي ، ولم يعد يخرج إلّا

للضرورة أو بحثًا عن الغذاء الذي بات يعتمد فيه على أبسط الأشياء ، وهو الأمر الذي أتاح له التعمق في التأمّل والاتصال بالله في تلك الجزيرة النائية والبعيدة عن عالم البشر والضلالات ..

وفي يوم من الأيام ، وعلى غير العادة ، قدِمَ إلى الجزيرة (آسالْ) وهو رجلُ دين متصوّف ، جاء هاربًا من شيوع الفساد في مدينته ، بعد أنْ يئسَ من إصلاح أهلها ؛ يلتقي ب (حيْ) فيهابه وينفر منه للوهلة الأولى خائفًا من منظره (إنسان بدائي ، شعر رأسه يغطّي جسدَه إلى جانب ريش النسر الذي يكسوه).. لكنّ تصرفات (حيْ) تُهدّئ من روعه وفزعه .. فيستأنس به ويبدأ في تعليمه اللغة من أجل تواصل أفضل في ما بينهما ، وعندما يتمكن من اللغة ، يشرع (آسال) في تلقين حيْ تعاليم الدين ، وهنا يكتشف بدهشة واستغراب أنّ ابن يقظان قد توصّل إلى الإيمان بإله واحد ، وتعرّف صفاته ، والتواصل معه عن طريق القلب والمعرفة الباطنية ، بل إنّه انقطع كلية إلى عبادته .

وبعد مدة طويلة ، يتحدث (آسال) إلى حيْ عن معاناته مع أبناء مدينته وانتشار الفساد بينهم وفي حياتهم ، وانحرافهم عن الدين، وهنا يطلب منه (حيْ) اصطحابه إليهم كيْ يحدّثهم عن تجربته الإيمانية ، لعلّهم يعودون إلى جادة الصواب . وحين يلتقي بهم ، يُوضّح لهم تجربته العقلية في الإيمان، كما يُحدّثهم عن تجربته الصوفية في التواصل مع الله تعالى ، لكنّهم كانوا مشغولين بحبّ الدنيا وملذّاتها ولذلك تركهم (حيْ) بعد أنْ نصحهم بالتزام أوامر دينهم ، وعاد إلى الجزيرة بصحبة (آسَال) ، ليتفرّغا معًا للعبادة .

وتعدّ قصة (حيْ بن يقظان) قصة رائدة في القرون الوسطى لذلك من البديهي أنْ تُؤثر في القصص اللاحقة التي ظهرت في أوروبا ، كما أثّرتْ قصص ألف ليلة وليلة .وفي هذه الدراسة نتناول تأثير " حيْ بن يقظان في قصة " روبنسون كروزو " لـ " دانييل ديفو " ونبحث عن أوجه اللقاء والتشابه وأوجه ونقاط الاختلاف بين هذين العملين الأدبيين في لغتين مختلفتين وفي أدبين مختلفين ..ولكن علينا قبل ذلك ، أنْ نقدم ملخّصًا لرواية " ربنسون كروزو" ..

ملخص رواية " روبنسون كروزو":

روبنسون كروزو كما يقدمه دانييل ديفو في الرواية ، هو شابٌ في العشرين من عمره، أحلامه هي أحلام الشباب عادة ورغبتهم في السفر والمغامرة .. لذلك فهو يستأذن والديه في السفر عبر البحار ليحقّق حلمه الذي لازمه مدة طويلة.. لكنّ والديه يرفضان الموافقة على هذه الفكرة حرصًا على حياته وخوفًا عليه .. ويصرّ روبنسون على فكرة السفر فيعصي والديه وأوامرهما ليحقق رغبته في المغامرة والسفر، ممّا أثار غضب والده وجعله يدعو الله أنْ يضع المصاعب والمتاعب في طريق ابنه العاق..

وبالفعل ، ومنذ البداية ، حين يسافر روبنسون تصادفه أهوالٌ كثيرة ، آخرها تحطّم السفينة في عرض البحر / المحيط وغرق جميع ركابها ، ما عدا روبنسون . وبعد أنْ يجتاز أهوالًا كثيرة في عرض البحر ، يجد نفسه ملقًى على شاطئ جزيرة نائية لا يسكنها أحدٌ من البشر ، ولا يوجد فيها سوى الحيوانات المتوحّشة والمفترسة .. وتواجه روبنسون مشقة البحث عن حياة آمنة في تلك الجزيرة ، لذلك يلجأ إلى إقامة مسكن بسيط من بقايا السفينة المحطمة التي ألقتْ بها الأمواج كما ألقت به هو أيضا على شاطئ الجزيرة. وأمّا طعامه فكان مما تيسّر له من ثمار الغابة والأحراش البرية... لكنّ المصادفة تساعده في تأمين غذائه من الحنطة ، حين نفض كيسًا (يريد استخدامه لبعض شؤونه) كان فيه بقايا حنطة ، فهطلت الأمطار ونبتتْ البذور ، فصار يعتني بها ، إلى مرحلة الحصاد..

وبعد فترة طويلة قضاها روبنسون وحيدا وهو يقاوم من أجل البقاء على قيد الحياة ، يلتقي برجل أسير استطاع أنْ يفِرَّ من عصابة أكلة لحوم البشر ، فيسميه " جمعة" Friday ويتخذه رفيقًا ومساعدًا له في عمله وتأمين عيشه ..

قضى روبنسون في الجزيرة مدة ثمانٍ وعشرين سنة ، إلى أنْ أتتْ مصادفة ، سفينة اقتربتْ من شواطئ الجزيرة ، ليرحل على متنها إلى بلده ،بعد أنْ يخوض صراعًا مع رجال ثائرين على ربّانها .. وهكذا تكون المتاعب قد لاحقته حتى آخر مراحل رحلته المشؤومة .

أوجه اللقاء والتشابه بين (حيْ بن يقظان) و (روبنسون كروزو):

عندما نعود إلى تاريخ وفاة مؤلف " روبنسون كروزو " دانييلْ ديفو، نجده قد توفي سنة 1731م ، وأمّا بن طفيل فقد توفي سنة 1185م؛ ومن هنا نلاحظ أنّ مؤلف حي بن يقظان قد عاش قبل ديفو بحوالي خمس مئة عام ، وكلاهما قد عاش في إسبانيا فترة من حياته ، ولذلك كان تأثر ديفو بابن طفيل أمرًا طبيعيًا من الناحية المنطقية والتاريخية .. فاللاحق هو الذي يتأثّر بالسابق أيْ السابق زمنيا هو الذي يُؤثّر في اللاحق..

نلاحظ أنّ الفضاء المكاني في كلتا الروايتين متشابهٌ تشابهًا كبيرًا إلى حدّ أنّنا تقريبا إزاء فضاء واحد وهو (جزيرة نائية) خالية من بني البشر، ثمّ يسكنها إنسانٌ واحد في البداية، يأتي إليها دون اختيار منه .. ويحاول أنْ يستكشف ويفهم ما يحيط به .. ولذلك، نلاحظ تركيز الكاتبين في كلتا الروايتين على شخصية رئيسية واحدة تعيش ظروفًا متشابهة خصوصا ما يتعلق بالعزلة والحياة البدائية..

توجد في كلتا الروايتين شخصية ثانوية ، تبدو طارئة تمامًا (آسَال / جمعة) وهي الشخصية التي تأتي إلى الجزيرة بعد استقرار الشخصية الرئيسية ، ويتم اللقاء بها بعد مرور فترة طويلة من حياة العزلة في الجزيرة . غير أنّ الشخصية الثانويةٌ ، أضفت شيئًا من الحيوية على فضاء الروايتين وغيرت نوعًا ما من إيقاعهما.

تبرز في كلا العملين الأدبيين الغاية التعليمية ، وخاصة في حيْ بن يقظان؛ فابن طفيل منذ البداية أراد أنْ يدلّل على وجود الله باستخدام العقل والحدس، دون الاعتماد على الشريعة ، فجعل

حيْ إنسانًا بدائيا يصل إلى الإيمان عن طريق استخدام العقل أولا ثمّ الحدس. وهو بذلك كأنّه يطلب من الناس أنْ يمعنوا النظر في هذا الكون ليتوصّلوا إلى الإيمان بعقولهم وقلوبهم، لا أنْ يكون إيمانهم إيمانًا تقليديًا تتحوّل فيه العلاقة مع الله إلى مجرد مجموعة من الطقوس لا علاقة لها بالقلب أو العقل.

أمّا الكاتب الإنجليزي " ديفو " في روبنسون كروزو ، فقد كانت غايته بالدرجة الأولى تربوية ، وهي رسالة يتوجه فيها إلى الشباب المتهوّر والذي عادة ما يعشق المغامرة والسفر .. طالبا منهم التحلّي بالرزانة والاتزان والسلوك المعتدل بعيدا عن الشطط وعقوق الوالدين. وقد تجلتْ نصيحة الكاتب في اتخاذ شخصية روبنسون وما تعرّض له كعبرة للشاب العاق لولديه حين لم يستمع إلى والديه فكان عاصيا لهما ونفّذ ما كان يجول في رأسه من أفكار ، فعانى متاعب كثيرة وكان عرضة للموت في كلّ لحظة كما كانت حياة العزلة التامة في الجزيرة عقابًا له ..

ومن جهة أخرى ، فقد حملتْ رواية روبنسون كروزو فكرة العودة إلى الحياة الأولى ؛ الحياة الطبيعية البدائية التي يعيش فيها الإنسان معتمدا فقط على الطبيعة وما توفره الحياة البرية البسيطة وما تقدّمه الطبيعة من مواد وعناصر قد تساهم في البقاء على قيد الحياة .. وفكرة العودة إلى الحياة البدائية كانتْ ولا تزال إلى اليوم ، وذلك بالنظر إلى ما تمثله الحروب والكوارث والأزمات التي بإمكانها العودة بالإنسان رغمًا عنه إلى شروط حياة الإنسان البدائي الأول، وتجرده من كلّ المرافق ووسائل العيش والرفاهية ..

نلاحظ في الروايتين ملامح السيرة الذاتية لكلّ من المؤلفين ، ففي (حيْ بن يقظانْ) نجد أهم القضايا الدينية والفلسفية والمعرفية ، وعلى رأس هذه القضايا التي أرّقتْ ابن طفيل : (هلْ تستطيع الفلسفة أنْ تؤدي إلى الإيمان بالله على نقيض القول الشائع" من تمنطقَ فقد تزندقَ "؟ . ثمَّ هلْ يكفي استخدام العقل ليصل بنا إلى الإيمان العميق أمْ نحن بحاجة إلى القلب والقوى الداخلية الباطنية والحدسية إلى جانب العقل ؟ هلْ تستطيع العامة الإيمان بهذه الطريقة ، أمْ لابد لها من

الطريقة النقلية في الإيمان..؟ هلْ الطريقة العقلية الحدسية وقفٌ على الخاصة دون العامة من الناس؟؟؟).

وأمام هذه الأسئلة الكبيرة في الدين والفلسفة والمعرفة والمنهج، تبدو رواية حيْ بن يقظان أكثر عمقًا وأكثر تعقيدًا من روبنسون كروزو ، فأسئلة ابن طفيل أسئلة جوهرية ولها تفاصيل كثيرة كانت ولا تزال مطروحة للتحليل والجدل والنقاش وهي أسئلة المعرفة في الفكر العربي وفي الفلسفة العربية وفي الدين وعلم الكلام والتصوف ..

أوجه الاختلاف بين حيْ بن يقظان و روبنسون كروزو :

حين يصل روبنسون كروزو إلى الجزيرة النائية ، يكون شابًا قد اكتمل نضجه الفكري و الجسدي وتأصلتْ عاداته وأنماط حياته في مجتمع مدني له عاداته وتقاليده (إنجلترا) ، ثمّ بعد ذلك يجد نفسه مجبرا على الحياة البدائية . أمّا حيْ فقد بدأ حياته في الجزيرة رضيعًا حسب الرواية الأولى ، أو تخلّق من تربتها حسب الرواية الثانية ، فهو منذ نشأته الأولى كان إنسانًا بدائيًا لصيقًا بالطبيعة توطّدتْ صلته بها مع الأيام ، كما كان عالم الحيوان في الجزيرة دليله ، إذْ تعلّم منه طرائق العيش البدائية ، ولم تكن له تجارب ولا حياة سابقة مثلما هو الشأن مع روبنسون..

وكنتيجة للعلاقة الحميمية لـ حيْ بالطبيعة ، نجده إنسانًا تغلب عليه الروحانيات والتأمّل والبحث في قضايا جوهرية مثل الحياة والموت والإيمان بالله .. ولمْ ينشغل بالحياة المادية خاصة في المرحلة التي بدأ فيها يدرك بعض أسرار الوجود وما وراء الحياة المادية. وقد أدرك تمامًا أنّ الاستغراق في التواصل مع الذات الإلهية ، يفسده الانشغال بالماديات والحياة المادية.. لذلك أصبح زاهدًا متصوفًا يصرف وقته في التأمّل والعبادة.

وعلى عكس حيْ نجد روبنسون منشغلا بالعالم المادي ، همّه الأساسي تأمين الطعام وضمان أمنه وسلامته يسكنه الخوف والارتباك ، وابتعد تمامًا عن القضايا الروحية والتأمّل في ما وراء الحياة اليومية والماديات، متأثرًا في ذلك بحياته السابقة ..

لقد كان اللقاء بالشخصية الثانوية (جمعة) معزّزًا للجانب المادي في حياة روبنسون ، إذْ يقوم بمساعدته في تأمين أمور مادية ، على عكس شخصية (آسال) في حيْ بن يقظان التي كانتْ معزّزة للجانب الروحي ، لقد علّمه اللغة ، وهي أهمّ مفاتيح الأعماق والأفكار ، ثمّ أخذه معه إلى مدينته العاصية ليحاولا معًا إنقاذها من الضلال وفساد أهلها..

كانت علاقة حيْ بآسال علاقة متكافئة وعلاقة ندية وتكامل ، تمّ فيها تبادل المعرفة في ما بينهما وحاولا معً التعاون في سبيل إصلاح البشر وهدايتهم .. في حين كانت علاقة روبنسون مع (جمعة) علاقة السيد بالمسود، إنْ لم نقلْ علاقة السيد بالعبد..

ولذا ، نلاحظ على هذين العملين اختلافهما في كثير من الأوجه على الرغم من أوجه التشابه الكثيرة بينهما نتيجة تأثر ديفو بحيْ بن يقظان العربية لابن طفيل العالم والفيلسوف العربي الأندلسي .. وتبقى المقارنة بين هذين العملين الأدبيين مفتوحة ونستطيع الوقوف على كثير من التفاصيل بين هاتين الروايتين..